الصِّـــــدق

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين، وجعله بقدرته في قرار مكين، أحمده تعالى حمد الشَّاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملكُ الحقُّ المبين، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبدُه ورسوله الصّادقُ الأمين، أصدقُ الناس قولاً، وأخلصهم عملاً، وأوفاهم عهداً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيحِ الهدى وأعلامِ الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التَّقوى، فإن أوثق العرى تقوى الله، وهي وصية الله للأولين والآخرين، وطريقُ النجاة يومَ الدين.

أيها المسلمون:

لقد خلق الله الإنسان من ضعف، وأوجده من عدم، وعلَّمه بعد جهل، وشرَّفه من بين المخلوقات، وخصَّه بالنطق والبيان، فباللفظ يعبر الإنسانُ عن بغيته، ويفصحُ عن مكنون فؤاده، وبه تظهر الرفعةُ والدنو، والهمةُ والعلو، من تكلم به بحقّ علا ونجا، ومن نطق به بباطل هلك وشقى، وإن من أكرم الصفات الإنسانية، وأعظم الفضائلِ الأخلاقية، ما ينطق به اللسانُ من الصدق، فهو أساس الحياةِ الكَريمة، وأهمُّ الأسسِ في بناءِ الأمة وسعادةِ المجتمع. أمر الله بالتحلِّي به وجعله خُلُقاً لحملةِ وحيه، ومبلغي رسالاته، يقول تعالى عن خليله إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريَم: الآية ٤١]، ويقول عن إسماعيلَ عليه السلام:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: الآية ٥٤].

يتحلَّى بالصِّدق الأماثلُ من الرّجال، ويتَّصفُ به الأوفياءُ من المؤمنين، الذين صفت أرواحُهم من الكدر وطَهرت قلوبهم من الرَّين، وعلت نفوسُهم عن كل دنيء محتقر.

إنَّه أمارة على سعادةِ الأمة، ونقاءِ سرِيرَتها وهو منبعُ الخيرِ لها، يقول المصطفى ﷺ: «**عليكم بالصِّدق، فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرّ، وإنَّ البرّ يهدي إلى الجنّة، ولا يزال الرّجل يصدق ويتحرَّى الصِّدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً**» (رواه مسلم).

هو الحَكَم إذا اشتدت الخصوم، والشاهدُ إذا ضاعت الحقوق، والمصباحُ إذا ادلهمت الخطوبُ وتعذر الصواب.

أيها المسلمون:

لقد حثَّ النّبي ﷺ على الصِّدق؛ لأنه مقدمةُ الأخلاق، والداعي إليها، وهو علامةٌ على رفعة المتصِف به، فبه يصل العبدُ إلى منازل الأبرار، وبه تحصل النجاةُ من جميع الشرور، كما أن البركةَ مقرونة به، يقول النبي ﷺ: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإنْ صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركةُ بيعهما**» (متفق عليه).

ولذا فإنك لا تجد صادقاً في معاملته إلا وتجد رزقَه رغداً، وحياتَه طيبة، وتسنّمَ مراتبَ الشَّرفِ والسُّمو.

فالصّادق يطمئن إلى قوله العدوُّ والصديق، مؤتمن على الأموالِ والحقوقِ والأسرار. ومتى حصلت منه كبوةٌ أو عثرةٌ فَصِدْقهُ شفيعٌ مقبول. والكاذب لا يؤمن على مثقالِ ذرة، ولو قدّر صدقه أحياناً لم يُسمع. ألا ترى قول الله عز وجل في إخوة يوسف عندما قالوا لأبيهم: ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ

أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: الآيات ٨١ ـ ٨٣]، فصدقهم هذا، أبطله كذبُهم الأول حينما قالوا عن يوسف: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يُوسُف: الآية ١٧]. فعلى المسلم أن يشعرَ بمرتبته في الوجود، وأن يدرك منزلته في الدنيا، وأن يتخلّقَ بأخلاق العظام، فيصدقَ إذا تحدث، ويُخْلِصَ إذا تعامل، ويؤديَ إذا اؤتمن، وينجزَ إذا وعد.

وإنَّ قلةَ الصِّدقِ وكثرةَ الكذبِ آفةٌ، إذا اسْتَشْرَت في المجتمع قوضت أركان سلامتِه، وهدمت أساسَ استقرارِه، وأبدلت طمأنينةَ أفرادِه قلقاً، وسعادتَهم شقاءً. والحياةُ في مجتمع يمارِسُ أفرادُه الكذبَ حياة بئيسة.

إنَّ تقدمَ المجتمعِ المسلم، ورفاهيته، وسلامةَ واطمئنان أفراده كلُّ ذلك مرهونٌ بشيوعِ الصدق بين أفراده.

لقد طغت الماديةُ المظلمةُ على بعض المسلمين اليوم فجَهِل مكانَه في هذه الحياة، وبَعُدَ بذاته عن الحكمة التي من أجلها خلق، وأبى إلا أن يتخلق بالأخلاقِ البغيضة، ويتطبع بالطباع المرذولة، لآمالٍ موهومةٍ كاذبة.

لقد أنكر القرآنُ العظيم على أقوام جريَهم وراءَ الظنونِ التي ملأت عقولَهم بالخرافات، وأفسدت حاضرَهم ومستقبلَهم بالأكاذيب قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النّجْم: الآية ٢٨]. إنَّ الصّادق شهادته برٌّ، وحكمه عدلٌ، ومعاملته نفع، من صَدَق في عمله بَعُدَ عن الرّياء والسّمعة. صلاتُه وزكاتُه وصومُه وحجُّه، وعلمُه ودعوتُه لله وحده لا شريك له لا يريد بإحسانه غشاً ولا خديعة، ولا يطلب من أحد من الخلق جزاءً ولا شكوراً، صدقُه في أقوالِه وأفعاله هو مطابقة مظهرِه لمخبره، وتصديقُ فعلِه لقوله.

أيها المسلمون:

لقد أمر الله جميعَ فئاتِ المجتمعِ بالصّدق على اختلافِ معارفِهم وعلومهم، فالعلماءُ ـ ورثة الأنبياءِ في تبليغ الدّين ـ قدوةٌ صالحة في تحريهم الصّدق في أقوالِهم وأفعالِهم، يعملون بما يحمِلون من علم، وما ينقلونه من الدّين: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٧٩].

والتّاجرُ المؤمِّلُ الربحَ المباركَ في تجارته، يجب عليه أن يتحرَّ الصِّدق، فلا يروج سلعته بالكذبِ والأيمانِ الفاجرة فإن ذلك ممحق للكسب، مذهبٌ لبركةِ الربح، يقول النّبي ﷺ: «**إن التَّجار هم الفجَّار إلا من اتّقى الله**» (رواه البخاري). فجورُهم نابعٌ من تكرارِ الكذبِ منهم، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار.

والأُجراءُ على اختلافِ مراتبهم وتنوعِ أعمالِهم ومناصِبهم يجب أن يتحروا الصدق، فلا يزعمون زعماً تكذبه الحقائق ولا يصدقه الواقع. وكلما علت الهمةُ واتسع النفوذُ وتشعبت المسؤوليات كان الصدقُ أوجب، أَلا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

إن التمسكَ بالصدق في كل شأن، وتحرّيَه في كلِّ قضية والمصيرَ إليه في كل حكم، دِعامةٌ مكينةٌ في خلق المسلم. فالإيمان أساسُه الصِّدق، والنِّفاقُ أساسُه الكذب، وقد أخبر الله سبحانه أنه في يوم القيامةِ لا ينفع العبدَ ولا ينجِّيه من عذابِه إلا صدقُه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١١٩].

صدقٌ في القول، وصدقٌ في الإرادةِ والنيَّة، وصدقٌ في العمل، وصدقٌ في المعاملات.

أيها المسلمون:

لقد أمر الله رسولَه ﷺ أن يسألَه أَنْ يجعل مدخَله ومخرَجه على

الصِّدق فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٠]، وأخبر عن خليله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: الآية ٨٤]، وبشَّر عبادَه بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: الآية ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: الآيتان ٥٤، ٥٥].

فهذه خمسة أمور مدخلُ ومخرجُ ولسانُ وقَدَمُ ومقعدُ الصِّدق، وحقيقةُ هذه كلِّها هو الحقُّ الثابتُ المتصلُ بالله، الموصلُ إلى الله، وهو ما كان بالله ولله، من الأقوالِ والأفعال.

وعلى هذا المثال القويم، سار الرعيلُ الأول، والسلفُ الصالحُ رضوان الله عليهم أجمعين وأناروا بصدقهم الظُّلمَ، وكانوا مناراتٍ للأمم. فهذا كعب بن مالك رضي الله عنه عندما صَدَق في تخلفه عن غزوة تبوك وكان من الثلاثة الذين خُلِّفوا، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم قال له رسول الله ﷺ: «**أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذُ وَلَدَتْكَ أمُّك، قال: قلت: أَمِنْ عِنْدِكَ يا رسول الله أم منَ عند الله؟ قال: لا بل من عند الله... قلت: يا رسول الله: إنما نجَّاني اللهُ بالصِّدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت**» (رواه البخاري)، قال كعب رضي الله عنه: فوالله ما تعمدت كَذْبَةً منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ البريات، عالمِ الخفيات، المطّلعِ على الضمائرِ والنيّات، أحمدُه سبحانه على ما خَصَّنا به من جلائل النعم، وأشكرُه تعالى على ما حبانا به من أنواعِ الجودِ والكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ القدوسُ السلام، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه خيرُ مرسلٍ وأكملُ إمام، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه وسلم تسليماً كثيراً على الدّوام.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعلموا أن خيرَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ رسول الله ﷺ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين فإنّ يدَ الله مع جماعة المسلمين ومن شذَّ عنهم شذَّ في النار.

عباد الله:

إلى جانبِ الفضائلِ والمحامدِ التي يغرسها الإسلامُ في النفوسِ بالصلاحِ والإصلاح، إلى جانبها نقائصُ ورذائلُ حاربها الإسلام لأنها مزلّةٌ للأقدام، وعواملُ لهبوطِ النَّفْسِ الخُلُقي وفي طليعتها الكذب فهو من أقبحِ النقائص وأردى الرذائل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [النحل: الآية ١٠٥].

وقرن اللَّهُ الكذبَ بعبادةِ الأوثان، فقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ

مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحجّ: الآية ٣٠].

صنفٌ من النَّاس يرى أنَّ الكذبَ لونٌ من ألوانِ الدَّهاءِ والذَّكاءِ وحسنِ الصنيع، بل ومن مميزاتِ الشخصيةِ المقتدرة.

كيف يكون ذلك وهو رذيلةٌ محضة أساسُها الآثامُ وأصلُ الشُّرور، يدل على تغلغلِ الفسادِ في نَفْسِ صاحِبه وهو من علاماتِ الجبنِ والضَّعف، وأمارةٌ من أمارات النِّفاق، يقول النَّبي ﷺ: «**أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ من النِّفاق حتى يدعَها، إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» (متفق عليه)، زاد مسلم «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**».

الله أكبر كم ضاعت بالكذبِ من حقوق، وانتهكت به من حرمات؟!، وكم كان سبباً في قطعِ الصّلات، وإثارةِ العداوات؟!.

إن الكاذبَ يفكّك المجتمعَ بكذبِه، ويفرق الجَمْعَ بما يفتريه من أجل أمورٍ وهميةٍ وظنونٍ كاذبة.

الكذبُ سببٌ ذريعٌ في فشل الأعمالِ وضياعِ الحقوق، يهينُ كرامةَ الإنسان ويُذْهِبُ بشرفِ الرجال، وهو من قبائحِ الذّنوبِ وفواحشِ العيوب، مهانةٌ ورداءة طبع، وضعفُ دين، وما كان كذلك فكيف يوصف صاحبُه بالدهاء.

حقُّه يُعْصَى إن أمر، ويُخالَفُ إن نهى قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القَلَم: الآية ٨]. يُبْتعَدُ عنه إن قرب، ويُحْذَر منه إن بعد، نَفَسُه مَسْمُوم، وقلبُه محموم، ومن نأى عن الصِّدقِ وقع في مهاوي الكذبِ والضَّلال.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ والزموا صدق القولِ والعمل، تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...